

رسالة المسجد

الاستاذ جعفر شاه الفلواروى

كراتشى

قبل ان نشرح رسالة المسجد يلزمنا ان نعرف اولا معنى الصلاة التى نوضوعها المسجد، اذ لو لم تكن الصلاة لما كانت المساجد - و انما ورد لفظ الصلاة فى القرآن الكريم بمعنى المسجد، فى قوله تعالى: "ياايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة و انتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا، (النساء: ٤٣) فمعنى الصلاة فى هذه الآية موضع الصلاة اى المسجد، والا لا يتضح معنى "ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا،. و قال بعض العلماء فى تفسير الآية،،حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى،، (البقرة: ٢٣٨) ان الصلوات هى مساجد العالم و الصلاة الوسطى هى المسجد الحرام الواقع وسط المعمورة والمركز الوحيد للعالم الاسلامى .

و اذا اخطانا فى فهم معنى الصلاة لم نصب فى فهم معنى المسجد، نحن نرى ان الصلاة هى مجموعة بعض الحركات و الكلمات فقط و هى توجب ثواب الآخرة و كأنها لا تتعلق بثواب الدنيا او كأنها عبادة روحية محضة مجردة عن المادية - ان هذا التصور ليس بشئ يعنى به - فكما ان الدين لا يوجد الا فى الدنيا او بواسطة الدنيا فكذلك الروحانية لا تتحقق الا بواسطة المادية - انا اذا استخدمنا المادة و استعملناها استعمالا صحيحا كما يقتضيه الاسلام فقد حصلنا على الروحانية، ولا روحانية بدون المادية .

إذا تفحصنا وجدنا بعض آيات القرآن توضح معنى الصلاة — قال سبحانه :
 ”الم تر أن الله يسيح له من فى السموات والارض والطير صافات، كل قد علم صلاته
 وتسبيحه،“ (النور: ٤١) — لنعلم ما هى صلاة الطير؟ أهى تتوضأ؟ ام هى
 تستقبل القبلة؟ ام هى تقوم و تركع و تسجد و تسلم؟ كلا — فما هى صلاة
 الطير اذآ؟ أليست هى اداء فرائضها الحيوية؟ وكذلك فان صلاة الانسان
 معناها ايضا تأدية فرائضه الحيوية، وهى اعم و اوسع من الصلوات فى المساجد
 و انما الصلاة فى المسجد هى نموذج صغير لحياتنا الدنيوية الاسلامية و فرائضها،
 و لنستعرض آية اخرى حكى الله سبحانه فيها ما قاله قوم شعيب : ”قالوا يا شعيب
 أصلاتك تامرک ان تترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل فى أسوانا ما نشاء، فهذه
 الآية تشير اشارة و اوضحه ان الصلاة لها صلة بالاسوال ولا يمكن انقطاعها عنها .
 وكننا يعلم ان الاموال مائة غير انه من الممكن ان نفقها فى سبيل الله او ان
 نستخذ منها كما امرنا الله، فبذلك تتولد الروحانية .

و ههنا احب ان اطرح اسامكم بعض الاسئلة لتتفكروا: هل تجوز الصلاة بغير
 وضوء؟ كلا — فما ظنكم بمن يحضر لكم الماء للوضوء بحفر الآبار و تركيب
 الانابيب و انشاء الصهاريج؟ اليست هذه الاعمال التى لاتتم الصلاة الابها
 من العبادة؟ أليس من الاجدران يقال: ان هذه الاعمال جزء من اجزاء الصلاة
 اذ لاتتحقق الصلاة الا بالوضوء .

و كذلك لا تجوز الصلاة بغير الملابس الساترة للعورات، فما رأيكم فى
 الذين يزرعون القطن والذين يغزلون الخيطان و الذين يحيكون و ينسجون
 الثياب و الذين يخيطنون الالبسة؟ كل هؤلاء يعملون عمل الصلاة لان الصلاة

لا تتحقق الابها — وان هذه الاعمال كلها مادية و بها تتحقق الصلاة . فاذا كان
 ”انتظار الصلاة من الصلاة“، ولو كان المنتظر لا يصنع شيئا فهل من المعقول
 ان لاتعد هذه الاعمال التي بينها من الصلاة ؟

و فوق ذلك فاني اقول ان تصليحات الشوارع، و نصب الانوار في الطرق،
 واماطة الاذى عنها، وازالة الاقدار و غير ذلك من اعمال البلدية كلها عبادة .
 وكذلك اذا رجعنا الى موضع الصلاة اي المسجد فبناؤه ايضا من العبادة
 كعبادة الصلاة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :

”من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة“، (رواه ابن ماجه عن علي رضي الله
 تعالى عنه) و المسجد في عصرنا هذا لا يمكن بناؤه الا بالحاجات المادية مثل
 آلات الهندسة و اللبنت و الاسمنت و وتمديد الانابيب والكهرباء و
 تركيب ادواتهما، اذن فجامعات الهندسة واثنتين اللبنت ومصانع الاسمنت وادوات
 الكهرباء و ماشاكلها ليست كل هذه محلات العبادة، اذ بدونها لاتتم المساجد
 التي هي اماكن الصلاة ؟

و اتجاوز عن هذا فاقول : اليس القتال في سبيل الله من اهم العبادات و قد
 ثبت في الاخبار الواردة، ان النبي صلى الله عليه وسلم و اصحابه صلوات الله عليهم،
 اخروا ليوم الاحزاب اربع صلوات متوالية لاجل انهماكهم في القتال ثم قضوها
 باذان واحد و اربع اقامات، ان الآيات و الاخبار في فضائل القتال كثيرة لا تحصى —
 فهل يمكن القتال بغير الاسلحة ؟ فماذا نقول في المعامل التي تنتج البنادق
 و القنابل والمدافع و الطائرات و الدبابات و الغواصات و غير ذلك من معدات
 حربية ؟ فما قولكم فيها ؟ ليست هذه المعامل و المصانع بمواضع العبادة ؟

فكما ان القتال في سبيل الله من اهم العبادات كالصلاة فكذلك معاسل انتاج الاسلحة للقتال عبادة كبناء المسجد الذي هو موضع الصلاة . فاذا تدبرنا حصلنا على نتيجة ان الصلاة لا تنحصر في بعض الحركات و الكلمات فقط ولا هي محصورة في جدران المسجد ، بل هي عمل ملخص يشتمل على جميع اعمال الحياة الاسلامية . بل نقول بعد ذلك ان الصلاة كما يستوعب جميع شئون الحياة الاسلامية فكذلك المساجد ليست لاداء الصلوات الخمس فقط بل هي تحيط بجميع الوظائف الحيوية، هي لاهل الاسلام مركز للنظام الاسلامي ، مركز ديني، ثقافي، سياسي، اقتصادي، اجتماعي، علمي و ادبي . ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن في مسجده الشريف يصلي بالناس فقط وانما كان يحكم فيه بين الخصمين، و يفاوض الوفود غير المسلمين، و يبلغهم رسالات الله سبحانه، و يسمع فيه رؤى الناس فيعبرها، و يفتي بالمسائل الفقهية، و يرى صراع سبطيه الحسنين رضي الله تعالى عنهما، و ينظر السودان يلعبون بالدوق و الحراب، و تنظر معه ام المؤمنين عائشة صلوات الله عليها، و يقسم الاسوال بين الفقراء، و يستشير اصحابه الكرام في اهم الاسورة، و يبعث البعثات . بعثات الدعاة المبالغين، و يبعث جيوش المجاهدين المقاتلين في سبيل الله، و يأمر بتمريض الجرحى و المرضى، و يرسل عاسليه لاختذ الصدقات، و يعلم الذين اسلموا دينهم، و كل ذلك في ساحة مسجده الشريف . فانمسجد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم و خلفائه الراشدين، كما كان محراب الصلاة والاعتكاف و ذكر الله سبحانه، فكذلك كان المجلس الوطني، و البرلمان، و المحكمة و معهد التعليم والتربية، و مصلحة الفتاوى، و ادارة التمييزات الجسدية و المنتزه الروحاني، و دار الشورى، و مكتب الترفيه و ثكنة العساكر و الجيوش، و مستشفى المرضى و الجرحى و غير ذلك ، فالمسجد

هو الكل، و هذه المعاهد اجزاء هذا الكل ، فاذا انتشرت هذه الاجزاء وانقسمت حسب متطلبات العصور و اقتضاءاتها فكل جزء من هذه الاجزاء جزء من اجزاء المسجد الشريف، و كذلك كل شئ يتحقق به الصلاة جزء من اجزاء الصلوة، فالصلاة و المسجد كلمتان لهما معان كثيرة و شاملة - و هكذا ينبغي لخطيب المسجد او امام الصلاة ان يكون رحيب الظرف عظيم الخلق، غزير العلم، متنور الفكر، عزيز النفس، حلیم الطبع، غنى القلب رفيع المكالمة و مكنتفيا ذاتيا .

ان لى خبرة الخطابة و الالامة منذ شبابه ، و رأيت كثيرا من الخطباء والائمة فى بلادى، فوجدت فى اكثرهم عدم الكفاءة علما و خلقا و مالا و تنورا، و قد يتنازعون فى الاسور البسيطة كاستخدام المدياع (سكبر الصوت) فى الخطبات والصلوات و يعدونه معصية ، و يفتى بعضهم بان من يعتقد بان الانسان يمكن له الوصول الى القمر فقد كفر و بانث منه امرأته ، فاذا كان هذا حال الائمة فما ذا يكون حال المقتدين ؟

وسما يجدر ذكره ههنا، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ”جعلت لى الارض مسجدا و طهورا، (رواه البخارى و مسلم و النسائى عن جابر و ابن ساجه عن ابى هريرة رضى الله عنهم) . فهذه هى رسالة المسجد عندى ، و مغزى هذا الحديث هو ان المسجد مركز تدريبي لاهل الاسلام ليعلموا ما هو نظام الحياة الاسلامية، ثم ينشروا هذه الرسالة اى رسالة الاسلام فى ارجاء العالم و يبلغوها اهل المعمورة كلها، حتى يجعلوا الارض مسجدا و يطهروها من ادناس الشرك والاستغلال. كما يشير هذا الحديث الى ان السموات والارض لا يملكهن الا الله ولم يكن الانسان شريكا له فى ملكه و ملكه . الارض كلها كمسجد

لا يملكه الانسان و انما يملكه الله سبحانه، والله در المسجد الدهلوى الشاه
 ولى الله رحمه الله، حيث قال ”فالارض فى الحقيقة بمنزلة مسجد او رباط جعل وقفاً
 لابناء السبيل، فيقدم الاسبق فالاسبق . . .“، ثم قال و معنى الملك فى حق
 الآدى كونه احق بالا نتفاع بها من غيره، .

و خلاصة القول ان رسالة المسجد هى تبليغ الاسلام فى اقطار العالم،
 و هذا من اهم الفرائض الدينية فلنجتهد ان نحقق هذا الغرض، و نعمل بموجب
 قوله سبحانه و تعالى ”و لكن منكم امة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف
 و ينهون عن المنكر و أولئك هم المفلحون“، .

